

سورة الإسراء

﴿الآيات: 9 - 12﴾

الدرس

4

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف بعض صفات القرآن الكريم.
- 2- أن أستدل على وحدانية الله وقدرته بالنظر في الآيات الكونية الواردة في الآيات.
- 3- أن أهتدي بالكتاب المسطور (القرآن) وأعتبر وأتعظ بالكتاب المنظور (الكون).

تمهيد

بعد أن ذكر الحق سبحانه أنه أنزل التوراة لهداية بني إسرائيل، أتبع ذلك بالثناء على القرآن الكريم وذكر بعض صفاته، وهي أنه يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المومنين، وينذر الكافرين، مذكرا بطبيعة الإنسان الذي خلق عجولا، قد يدعو على نفسه بالشر كما يدعو لنفسه بالخير، ومستعرضا بعض الآيات الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته وجلاله.

فما هي صفات القرآن الكريم؟ وكيف أتعظ بالتعاليم القرآنية، وأعتبر بالآيات الكونية الواردة في الآيات ؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَلْعَةَ الْفُرْعَانِ يَهْمِي لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ أَقْوَمٍ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ١١﴾

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّتُبْتَغُوا
فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَمَدَ السَّيْرِ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ قَصَّٰنَا تَقْصِيَةً ﴿١٢﴾

[سورة الإسراء: 9 - 12]

الفهم

الشرح :

يَهْدِي : يرشد ويدعو .
أَعْتَدْنَا : أحضرنا وأعدنا ومنه العتاد .
آيِمًا : موجعا .
آيَاتٍ : علامتين منصوبتين للنظر والعبرة .
فَجَعَلْنَا آيَةَ اللَّيْلِ : فجعلنا الآية التي هي الليل محوطة لا نور فيها .
قَصَّٰنَا تَقْصِيَةً : بيناه أحسن تبیین، ولم نتركه للمصادفة .

استخلاص المضامين :

- 1- بماذا نوه الله عز وجل في بداية الآيات؟
- 2- أين تتجلى رحمة الله تعالى بالإنسان؟
- 3- بم ذكرنا الحق سبحانه في نهاية هذه الآيات؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: التنويه بشأن القرآن والتذكير ببعض خصائصه:

بعد ما ذكر الله تعالى أنه أعطى التوراة لموسى عليه السلام هدى لبني إسرائيل، ذكر هنا أنه خص نبينا محمدا ﷺ بالقرآن الكريم الذي من صفاته:

1 - أنه يهدي للتي هي أقوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَلْعَةَ الْفُرْعَانِ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ومعنى ﴿يَهْدِي﴾ في هذه الآية: يرشد، أو يدعو و﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ يريد بها الحالة والطريقة التي هي أصوب وأعدل، وقيل: ﴿لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ هي لا إله إلا الله. قال ابن عطية: والأول أعم، وكلمة الإخلاص وغيرها من الأقوال داخلة في الحال التي هي أقوم من كل حال تجعل بإزائها.

والاقتصار على "أقوم" وحذف متعلقها بحيث لم يقل: (أقوم من كذا...) من باب الإيجاز، والمعنى مفهوم، أي: للتي هي أقوم من كل ما غيرها فهي النهاية في القوام.

2 - أنه يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالأجر الكبير يوم القيامة، جزاء عملهم، قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وقيد المؤمنين بعمل الصالحات؛ إذ هو كمال الإيمان وإن لم يكن هو نفسه، والمؤمن المفرط في العمل له بإيمانه حظ في عمل الصالحات. والأجر الكبير هو الجنة. قال ابن عطية: حيث وقع في كتاب الله (فضل كبير) و(أجر كبير) فهو الجنة. و﴿أَنَّ﴾ وما دخلت عليه في موضع نصب بـ"يبشر".

3 - أنه ينذر الذين لا يصدقون بالمعاد وما بعده من الثواب والعقاب بأن لهم عذاب جهنم جزاء ما قدمت أنفسهم. قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فجملة ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾، فهي داخلة في جملة بشارة المؤمنين، بمعنى أن القرآن الكريم بشرهم بالجنة، وبأن العذاب الأليم لمن لا يؤمنون بالآخرة، وإعلام المؤمنين بهذا فيه إدخال للسرور عليهم، فهما بشارتان.

ثانياً: عدم الاستجابة لدعاء الإنسان بما يضره رحمة به:

وبعد أن بين الله تعالى لبني إسرائيل وغيرهم صفات الهادي وهو القرآن، بين حال المهدي وهو الإنسان، فقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ سقطت الواو من يدع في خط المصحف؛ لأنهم كتبوا المسموع. وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد: هذه الآية نزلت دامة لما يفعله الناس من الدعاء على أموالهم وأبنائهم في وقت الغضب والضجر، فأخبر الله أنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما تدعون بالخير في وقت التثبت، فلو أجاب الله دعاءهم لأهلكهم، لكنه يصفح

ولا يجيب دعاء الضجر المستعجل، وقد بين الله عز وجل عذر الإنسان في فعله هذا فقال: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ أي: أن الإنسان له عجلة فطرية. والمراد بالإنسان هنا: قيل الجنس بحسب ما في الخلق من ذلك، قاله مجاهد وغيره. وقال سلمان الفارسي وابن عباس: هو إشارة إلى آدم عليه السلام، وأنه لما نفخ الروح في رأسه عطس وأبصر، فلما مشى الروح في بدنه قبل ساقيه أعجبته نفسه فذهب ليمشي مستعجلاً لذلك فلم يقدر. والمعنى فأنتم ذوو عجلة موروثه من أبيكم آدم عليه السلام.

والآية قيل نزلت في شأن قريش الذين قالوا: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ ارْكَبْنَا هَذِهِ الْفُلَ فَاصْرِفْ عَنْهُمْ السَّيْلَ﴾ [الأنفال: 32] ، وكان الأولى أن يقولوا: فاهدنا إليه وارحمنا به، فذمهم الله تعالى في هذه الآية بهذا.

وقالت فرقة: معنى هذه الآية: معاتبة الناس على أنهم إذا نالهم شر ضرعوا وألحوا في الدعاء الذي كان يجب أن يدعوه في حالة الخير ويلتزموه، من ذكر الله وحمده والرغبة إليه، لكنه يقصر حينئذ، فإذا مسه ضر ألح واستعجل الفرج. فالآية على هذا من نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَمَرْنَا النَّارَ بِضَرْبِ عَمَّا الْجِنِّ وَآوَقَاعَهُمْ ظِعْمًا فَمِنْهُمْ ضَرْبًا﴾ [يونس: 12] .

ثالثاً: التذكير بآيات الله الكونية الدالة على وحدانيته وقدرته:

بعد أن بين الله تعالى ما أنعم به من نعم الدين على الناس وهو القرآن، أتبعه ببيان ما أنعم عليهم من نعم الدنيا، فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَةً فَتَجَوَّزْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ الآية: العلامة المنصوبة للنظر والعبرة، وقوله: ﴿فَتَجَوَّزْنَا﴾ قالت فرقة: سبب تعقيب الفاء أن الله تعالى خلق الشمس والقمر مضيئين أول الأمر، فمحا بعد ذلك القمر. وقالت فرقة -وهو الظاهر-: إن قوله: ﴿فَتَجَوَّزْنَا﴾ إنما يريد في أصل خلقته، وهذا كما تقول: بنيت داري فبدأت بالأس، ثم تابعت. فلا تريد بالفاء التعقيب.

وظاهر لفظ الآية يقتضي أربع آيات، لا سيما لمن بنى على أن القمر هو الممحو والشمس هي المبصرة، فأما إن قدر الممحو في إظلام الليل والإبصار في ضوء النهار، أمكن أن تتضمن

الآية آيتين فقط، على أن يكون فيها طرف من إضافة الشيء إلى نفسه.

وقوله: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ معناه تبصر فيها الأشياء، فهو مجاز عقلي من إسناد الشيء إلى زمانه، مثل قولك: ليل قائم ونائم، أي: ينام فيه ويقام، فكذلك (آية مبصرة) أي: يبصر بها ومعها. وحكى الطبري عن بعض الكوفيين أنه قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوا عما شئتم. فقال ابن الكواء: ما السواد الذي في القمر؟ فقال له علي: قاتلك الله هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك، ذلك محو الليل.

وقوله تعالى: ﴿لَتَبْتَغُوا قِصْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: جعلنا تعاقب الليل والنهار؛ لتتمكنوا فيه من التصرف في أعمالكم، وتطلبون الرزق من الله ربكم الذي يمدكم من فضله وإحسانه شيئا فشيئا، وعلى وفق الزمان الدائر بكم صيفا وشتاء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُوا أَنَّ السَّمِيرَ وَالْجَسَّابَ﴾ أي: وليعلم به العدد من السنين والحساب للأشهر وللأيام. ومعرفة ذلك في الشرع إنما هو من جهة القمر لا من جهة الشمس.

وقوله سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ قِصْلَةٌ تَفْصِيَةٌ﴾ الظاهر أن ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ منصوب على الاشتغال بفعل مضمر يدل عليه المذكور، تقديره: وفصلنا كل شيء فصلناه تفصيلا، وكان ذلك أرجح من الرفع لسبق الجملة الفعلية. وقيل: معطوف على ﴿وَالْجَسَّابَ﴾، فيكون معمولا لـ "تعلموا". والتفصيل البيان بأن تذكر فصول ما بين الأشياء وتزال أشباهها حتى يتميز الصواب من الشبه العارضة فيه.

رابعاً: مقاصد الآيات:

ترشد هذه الآيات إلى جملة من المقاصد التربوية، منها ما يأتي:

• التذكير ببعض صفات القرآن الكريم والغاية من نزوله على الحبيب المصطفى ﷺ، وهي أنه كتاب هداية وبشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين.

• التأكيد على عدل الله بين العباد في الآخرة، وأن جزاءهم يكون على حسب ما قدموا من أعمال، خيرها وشرها، وأن الإيمان بالله وطاعته يستحق الأجر الكبير، وأن الكفر به ومعصيته

يعرض صاحبه للعذاب الأليم.

- إقامة الحجة على الناس من خلال كتابه المسطور الذي هو القرآن الكريم، وكتابه المنظور الذي هو الآيات الكونية الدالة على وجوده سبحانه ووحدانيته وقدرته.
- التذكير بنعم الله تعالى على الإنسان، ومنها القرآن الكريم الذي أنزله الله لهداية الناس للطريق التي هي أقوم، وكذا نعم الليل والنهار والشمس والقمر وما فيها من منافع للإنسان والحياة.

التقويم

- 1 - أوضح صفات القرآن الكريم الواردة في الآيات.
- 2 - لماذا يدعو الإنسان بالشر؟ وما معنى كونه عجولا؟
- 3 - ما معنى آية الليل وآية النهار؟ وما معنى كون آية النهار مبصرة؟
- 4 - ما هي منافع الليل والنهار للإنسان؟

الاستثمار

قال فخر الدين الرازي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيُتَشَرُّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَتَى لَعْنَهُمْ وَأَجْرًا كَبِيرًا﴾: "فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الْقُرْآنَ بِثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الصِّفَاتِ: الصِّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ، وَالصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ يُبَشِّرُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ بِالْأَجْرِ الْكَبِيرِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصِّفَةَ الْأُولَى لَمَّا دَلَّتْ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ هَادِيًا إِلَى الْإِعْتِقَادِ الْأَصَوَّبِ وَالْعَمَلِ الْأَصْلَحِ، وَجَبَ أَنْ يَظْهَرَ لِهَذَا الصَّوَابِ وَالصَّلَاحِ أَثَرٌ، وَذَلِكَ هُوَ الْأَجْرُ الْكَبِيرُ؛ لِأَنَّ الطَّرِيقَ الْأَقْوَمَ لَا بُدَّ وَأَنْ يُفِيدَ الرَّبْحَ الْأَكْبَرَ وَالنَّفْعَ الْأَعْظَمَ، وَالصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَتَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِعْتِقَادَ الْأَصَوَّبَ وَالْعَمَلِ الْأَصْلَحِ، كَمَا يُوجِبُ لِفَاعِلِهِ النَّفْعَ الْأَكْمَلَ الْأَعْظَمَ، فَكَذَلِكَ تَرْكُهُ يُوجِبُ لِتَارِكِهِ الضَّرَرَ الْأَعْظَمَ الْأَكْمَلَ". [مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي: 303/20]

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1 - أوضح السر في ترتيب الصفات الثلاث التي وصف الله تعالى بها القرآن الكريم.

2 - أبين عدل الله عز وجل من خلال جزاء المومنين وغيرهم في الآيات؟

الإعداد القبلي

أتأمل الآيات: 13 - 17 من سورة الإسراء وأجيب عن الآتي:

1 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: **هَلِيلُهُ** - **حَسْبِيَ** - **مُتَرَبِّعًا** - **قَدَمَرْنَا** - **الْفُرُوبِ** - **فَرِيَّةً**.

2 - أبحث في أقوال المفسرين عن الأبعاد العقدية لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَرْدْنَا أَنْ نَمْلِكَ فَرِيَّةً أَمَرْنَا مُتَرَبِّعًا بِقَسْفُوايِمًا فَخَوَّعَلَيْهَا الْقَوْلُ قَدَمَرْنَا تَذْمِيرًا﴾.

3 - أوضح معنى قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيلَ رِيءٍ عُنْفٍ﴾ مفصلاً ما فيها من نكت بلاغية.